

معارك الرسائل  
في سوريابهاء العوام  
صحافي سوري

وتتحمل ذات المسؤولية السياسية والأخلاقية والعسكرية في كل ما جرى ويجري للسوريين من قتل وموت وتدمير وتشريد. لم يكن للسوريين في أزمته سند حقيقي بين خصوم دمشق أو حلفائها، فمادام يلزم أي دولة غربية أو عربية بصندوق الدعم لعصابة تحكم السوريين في الداخل، أو مرتزقة يتحدثون باسمهم في الخارج؟ بالعودة إلى الرسالة الأميركية في أيلول فقد جاءت ردا على الهدنة التي منحها روسيا وتركيا من أجل حل جبهة النصرة وتذويبها بين فصائل أخرى لم تدرج في قوائم الإرهاب الروسية حتى الآن. لماذا استقرت الهدنة "الرسالة" الروسية في المدينة الولايات المتحدة إلى هذا الحد؟ ربما لأنها تخفي تفاهما روسيا تركيا يمتد على أكثر من مناطق غرب الفرات، خاصة وأن أكراد الشمال عاودوا يطالبون موسكو بإحياء مفاوضاتهم مع دمشق لعلها تجد لهم حلا يحميهم من الأتراك، ولا ينتقص من الاستقلالية التي ينعمون بها في ظل الاحتلال الأميركي.

أزبدت وأرعدت موسكو على القصف الأميركي، ولكن رسالة واشنطن وصلت بوضوح إلى الروس والأتراك. فعدم وجود قوات أميركية فوق أي بقعة في سوريا لا يعني بأي حال من الأحوال أنها مشاع للتقسيم دون أخذ رأي واشنطن. والفقرة الثانية في الرسالة تقول إن التنسيق الروسي التركي غرب الفرات سيؤثر على التنسيق الأميركي التركي شرقه، وبالتالي ليس بمقدور رجب طيب أردوغان أن يبتز واشنطن بالصور التي التقطها مع فلاديمير بوتين وهما يتناولان "الأييس كريم" في روسيا.

شكل عام تعكس الرسائل المتبادلة بين الروس والأتراك والأميركيين في الشمال السوري، نوعا من التفاهم على ترسيم جديد للحدود التركية الجنوبية في إطار صفقة واضحة المعالم تقسم مناطق الشمال بين المحتلين الثلاثة، سواء كان ذلك تمهيدا لإقامة طويلة الأجل لهم في سوريا، أو استعدادا لاجل أزمة البلاد بعد رسم خارطتها على أسس ديمغرافية مختلفة عما عرفناه قبل عام 2011. في الحالتين ستفرض روسيا أكثر بعد هذا الاتفاق إلى مفاوضات أخرى في سوريا.

ولا تبدو معرفة الملفات التي تهتم بها موسكو بعيدا عن مناطق الشمال أمرا صعبا إذا ما تتبعنا رسائلها في سوريا، ليس فقط تلك الموجهة إلى الدول التي تشاركها احتلال البلاد، وإنما أيضا التي توجهها للأطراف السورية، وخاصة النظام الذي دفعته روسيا مؤخرا إلى الاستيلاء على ثروات رجالاته من أجل تسديد فاتورة حمايتها له، كما أجبرته على جملة من التغييرات والتنقلات في أجهزته الأمنية والعسكرية كي تضمن ولاء أكبر لها بين صفوف الجيش والمخابرات.

على ضفة المعارضة فإن أبلغ الرسائل الروسية التي وصلتها، هو تهيب هيئة التفاوض إلى حين اكتمال تشكيل اللجنة الدستورية. وعندما يتم ذلك ستكتشف الهيئة أنها لم تعد تمثل إلا نفسها وأقصى ما يمكن لها أن تحلم به هو جنسيات اجنبية تتيح لأعضائها الاستقرار في الدول التي يعيشون فيها. أو ربما تجد لهم روسيا البية ما للتصالح مع دمشق والعودة إلى حضن الوطن "الأسد".

عندما تقصف الولايات المتحدة فصائل مسلحة في أيلول فإنها لا تحارب الإرهاب كما تدعي وإنما توجه رسالة مباشرة إلى الروس والأتراك هناك. الرسالة تقول باختصار إن يد واشنطن تطول أي بقعة سورية وهي تعرف ماذا تخطط له الدولتان غرب نهر الفرات، وبالتالي فإن أي تنسيق بينهما في هذه المنطقة، أو في الشمال السوري عموما، يمكن أن يهدم بلحظة واحدة إذما شعرت الولايات المتحدة بأنه يستهدف قواتها ومصالحها أو يستهدف حلفاءها الأكراد. الروس هم من أشعل حرب الرسائل في سوريا، وهم من حول الحوار بين المحتلين للبلاد من جهة، وبين المحتلين والأطراف السورية من جهة أخرى، من لغة التفاوض إلى الرسائل العسكرية والسياسية غير المباشرة. صحيح أن الرسائل أبلغ وأمضى من المفاوضات أحيانا، ولكنها لا تحمل حلولاً لازمة ولا تفرض على المتراسلين أي التزامات إنسانية أو قانونية. فهذه الرسائل قوامها أفعال قابلة للتأويل إلى تفسيرات عدة تصل إلى حد التناقض أحيانا.

## الرسائل المتبادلة بين الروس والأتراك والأميركيين في الشمال السوري، تعكس نوعا من التفاهم على ترسيم جديد للحدود التركية الجنوبية في إطار صفقة واضحة المعالم تقسم مناطق الشمال بين المحتلين الثلاثة

بدأت حرب الرسائل عندما حلقت أول مقاتلة روسية فوق سماء سوريا قبل أربع سنوات. قرأ العالم حينها في رسالة موسكو أنها جاءت لمحاربة الإرهاب، ولكن حتى يومنا هذا لم تعلق قوائم الإرهاب الروسية في سوريا. بقيت روسيا تلاحق "الإرهاب" في سوريا وبقي خصوم دمشق يردون على رسائل الروس بما يجمي مصالحهم، وليس بما يخدم المعارضة أو يحاول إيجاد حل لازمة التي يصح القول إنها الأكثر تعقيدا في التاريخ الحديث للشرق الأوسط. منذ سبتمبر 2015 تواتت الرسائل الروسية في سوريا وكلها أثرت على مسار الأزمة. بدءا من تشكيل معارضة حميميم وإرسالها إلى جنيف، ثم إطلاق مفاوضات أستانة وسوتشي بحجة أن الحوار السوري يرتبط باجندته وليس بمكانة، مروراً بمنطقة خفض التصعيد وبعدها تعديل هيئة التفاوض للمعارضة وتطعيمها بمصنعي موسكو والقاهرة، وصولاً إلى اختزال مفاوضات جنيف باللجنة الدستورية، وأخيراً استرداد مناطق المعارضة وصولاً إلى أيلول.

الردود على رسائل المحتل الروسي من قبل المحتلين الآخرين، أميركا وإيران وتركيا وإسرائيل، أثرت هي الأخرى في مسار الأزمة



## ردّ حزب الله «المدرّوس» يمهد لخريف ساخن

علي الأمين  
كاتب لبناني

أمكن تفادي الانجرار إلى حرب بعد الضربة المحدودة والمدرّوسة التي قام بها حزب الله عبر ثلاث قذائف مضادة للدروع طالت مستعمرة أفيميم في شمال إسرائيل وعلى بعد نحو ألف متر عن الحدود اللبنانية بين بلدي عيترون ومارون الراس. الضربة محدودة ولا تصعيد إضافي. هذا ما نقلته وسائل الإعلام عن مصادر حزب الله بعد حصول حالة هلع في عدة مناطق لبنانية، لاسمياً في جنوب لبنان، الذي شهد حالة نزوح لعشرات الآلاف من السيارات نحو الشمال، خوفاً من اندلاع حرب. وساهم إطلاق إسرائيل نحو مئة قذيفة بحسب جيشها، وأربعين قذيفة حسب بيان الجيش اللبناني، في محيط بلدي مارون الراس ويارون، في خلق جو من التوتر في الجنوب، خاصة أن ذلك ترافق مع قلق من احتمال شن غارات إسرائيلية.

فيما سبق رد حزب الله اتصالات طالت واشنطن وموسكو وباريس، كان هدفاً لجم التدهور، وتردد لدى أوساط سياسية لبنانية عن دور روسي في تخريب عملية رد حزب الله، دون أن تؤدي إلى رد فعل يستجلب حرباً

علي قاسم  
كاتب سوري  
مقيم في تونس

السلاح النووي أكثر الأسلحة التي اخترعها الإنسان تدميراً، ولكن هل هذا يعني أن السلاح النووي أكثرها خطراً على البشرية اليوم؟ نظرياً، وحسب رأي الخبراء، نعم. أي مواجهة نووية شاملة بين الولايات المتحدة وروسيا، ستغرق كوكب الأرض في شتاء نووي دائم طيلة عشر سنوات. وتغلف العالم بأسره بطبقات من الغيوم السوداء، وتنخفض درجات الحرارة بمقدار تسع درجات مئوية. سيكون الهجوم النووي، لهذه الأسباب، بمثابة الانتحار لكلا الطرفين، يجر معه عواقب وخيمة على العالم بأسره. ولأنه كذلك فهو ليس أخطر الأسلحة التي تهدد البشرية؛ امتلاك الطرفين لترسانة النووية والقذرة على إصابة الهدف هو ضمانة لعدم استعمالها.

سوف يتذكر العالم، لآلاف عام وأكثر، الهجوم الذي استهدفت فيه الولايات المتحدة مدينتي هيروشيما وناغازاكي بالقبائل النووية، في ذلك الوقت لم يتردد

النفوذ الإيراني بات على سلم أولويات إسرائيل من العراق إلى سوريا ولبنان، وهو مرشح لأن يحتل موقعا متقدما وأن يشكل عنصر ضغط على لبنان. إسرائيل نذرت القناع عن وجهه الضربات العسكرية والغارات الجوية على مواقع إيران وميليشياتها في سوريا ولبنان، ويات تنتباهو يتحدث بوضوح عن أهدافه وعمليات جيشه، كما حصل في سوريا قبل عشرة أيام، لذا فإن كل المؤشرات تدل أن الخيارات تضيق بين إيران وإسرائيل، في سوريا ولبنان، وهو ما يرجح أن الخريف المقبل سيكون ساخناً، فالوظيفة الإيرانية في سوريا ولاسيما حزب الله انتهت، والغطاء الأميركي وحتى الإسرائيلي فضلا عن الروسي يجري سحبه بالكامل مع انتهاء الحاجة إلى سلاحه، فيما بات النظام السوري أكثر حذرا تجاه تغطية دور حزب الله خاصة في ما يتصل بما تعتبره إسرائيل خطراً عليها. وسواء فاز تنتباهو في انتخابات البرلمان ورئاسة الحكومة أو لم يفز، فإن الخشونة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية تتزامن مع تصعيد في العقوبات الأميركية على حزب الله، الذي بات أمام خيارات وجودية، أقصاها الحرب المبرمة، وأقلها الاندراج ضمن قواعد الدولة وعلى رأسها إنهاء دوره العسكري وخضوعه الكامل للجيش اللبناني.

تطور الأوضاع على الحدود الجنوبية. ليس خافياً أن ملف الصواريخ الدقيقة لدى حزب الله شكل العنوان الذي دفع إسرائيل إلى تصعيد الموقف، منذ أثاره بنيامين نتنياهو قبل عام في الأمم المتحدة، وفي محطات عدة كان محور اهتمام إسرائيلي ودولي، وهو ما يدفع اليوم نحو أن يشكل مع الطائرات المسيرة الإسرائيلية، عنواني تعديل لقواعد الاشتباك في المرحلة المقبلة. الأمين العام لحزب الله كان قد أكد في خطابه مساء السبت أن لا مصانع صواريخ دقيقة لديه، وشدد على أنه سيكون فخوريا لو كانت بحوزته. وفي نفس الخطاب أوضح ما قاله بأن حزب الله سيستهدف الطائرات المسيرة، بالتأكيد إن ما قاله لا يعني ضرب كل الطائرات فوق لبنان، بل استهداف بعضها بالطريقة والتوقيت المناسبين. إثارة ملف الصواريخ الدقيقة إسرائيلية، وإعلان حزب الله عبر مصادره أن عملية الأحد في أفيميم هي رد على استهداف عنصرين له في الغارة الإسرائيلية على سوريا، وأن ما جرى في الضاحية الجنوبية من استهداف إسرائيلي، لم يتحقق الرد عليه بعد، تعني أن الحساب سيبقى مفتوحاً بين الطرفين، وثمة توقعات دبلوماسية في بيروت، بأن مرحلة ما بعد الانتخابات الإسرائيلية هذا الشهر ستشهد تطورات ساخنة مع لبنان، في وقت يبدو أن ملف

لا يبردها أحد من الأطراف المعنية. طبيعة العملية التي قام بها حزب الله ونتائجها، ترجح هذه المعلومات في ظل إعلان إسرائيل عدم سقوط إسرائيليين نتيجة العملية. الأرجح أن الهوء عاد ولكن إلى حين، فالحدث العسكري الإسرائيلي الذي أشار إلى عودة الهدوء بعد ساعات قليلة من العملية داخل إسرائيل، استطراد بأن "الموقف الاستراتيجي لا يزال قائماً وقوات الدفاع الإسرائيلية لا تزال في حالة تاهب قصوى". فيما قال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو إن "إسرائيل ستحدد التحرك المقبل على الحدود مع لبنان وفقا لتطور الأحداث"، مضيفاً "أجريت مشاورات مع رئيس هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع ومع اللوائت. تمت مهاجمتنا بعدة صواريخ مضادة للدبابات وردنا بإطلاق 100 قذيفة وإبائط النار من الجو بوسائل مختلفة. نجري مشاورات حول المراحل القادمة. أوعزت بالاستعداد لجميع السيناريوهات". وتابع رئيس مجلس الوزراء سعد الحريري تطورات الأوضاع في الجنوب، وأجرى اتصالين هاتفين بكل من وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو ومستشار الرئيس الفرنسي إيمانويل بون طالباً تدخل الولايات المتحدة وفرنسا والمجتمع الدولي في مواجهة

## الشتاء نووي والجحيم الإيراني

السبب الثاني، لا يمكن الاستهانة به وإن بدا للبعض مستبعداً، هو أن الإيرانيين يتزعمون القوى الإسلامية المتطرفة التي تروج للثقافة الجهادية على أنها أقصر الطرق إلى الجنة، حسب زعمهم. لذلك سيكون من السذاجة أن نستبعد قيام حكام إيران باتخاذ قرار يبدو ما حدث في اليابان مقارنة به أمراً عارضاً.

لقد سبب ملالي إيران، وهم لا يمتلكون السلاح النووي، من الأمل والخسائر للبشرية أكثر مما سببته هجمات الولايات المتحدة على هيروشيما وناغازاكي. بالطبع هذا لا يقلل أبداً من بشاعة الهجوم النووي الأميركي. دعونا نستعرض بعجالة الثمن الذي دفعه العالم، وما زال يدفعه، نتيجة هوس الهيمنة عند ملالي طهران.

نبدأ بحرب الخليج الأولى (الحرب العراقية الإيرانية)، حيث يتضح البعد الأيديولوجي لهذه الحرب من التسمية الإيرانية لها "الدفاع المقدس". حرب مقدسة شنّها الملالي، بلغ عدد ضحاياها مليون قتيل، إلى جانب 400 مليار دولار خسائر مادية. كانت الحرب أطول نزاع عسكري في القرن العشرين، وتعتبر السبب الذي أدى في ما بعد إلى اندلاع

الرئيس الأميركي، هاري ترومان، عن إعطاء الأوامر لشن الهجوم، لتستهدف هيروشيما في السادس من أغسطس 1945، وتوجه ضربة أخرى لناغازاكي بعد ذلك التاريخ بثلاثة أيام. لتصور سيناريو آخر، لو أن اليابان امتلكت في ذلك اليوم سلاحاً نووياً، وكانت لديها القدرة على استهداف مدن أميركية، هل كان ترومان يجترأ على اتخاذ قرار الهجوم، وهل كان اليابانيون، شعب الساموراي الذي يصعب عليه تجرع الهزيمة، يقبلون توقع وثيقة الاستسلام يوم 12 سبتمبر 1945، أي بعد شهر وثلاثة أيام من استهداف ناغازاكي. أترك لكم الإجابة. والحال كذلك، لماذا إذن لا نترك لإيران حرية تطوير ترسانة نووية، هل يبالغ الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، في موقفه المتشدد من قضية النووي الإيراني، رغم موقف أصدقائه الأوروبيين المتساهل نسبياً. موقف ترامب من القضية لا توجد فيه أي مبالغة. هو على حق، على أوروبا أن تكون أكثر حذراً وتشدداً عندما يتعلق الأمر بملالي طهران، لسببين: الأول إذا امتلكت إيران ترسانة نووية، ستفرد بتهديد جيران لها، لا يستطيعون مواجهة التهديد بالمثل.

علي قاسم  
كاتب سوري  
مقيم في تونس

السلاح النووي أكثر الأسلحة التي اخترعها الإنسان تدميراً، ولكن هل هذا يعني أن السلاح النووي أكثرها خطراً على البشرية اليوم؟ نظرياً، وحسب رأي الخبراء، نعم. أي مواجهة نووية شاملة بين الولايات المتحدة وروسيا، ستغرق كوكب الأرض في شتاء نووي دائم طيلة عشر سنوات. وتغلف العالم بأسره بطبقات من الغيوم السوداء، وتنخفض درجات الحرارة بمقدار تسع درجات مئوية. سيكون الهجوم النووي، لهذه الأسباب، بمثابة الانتحار لكلا الطرفين، يجر معه عواقب وخيمة على العالم بأسره. ولأنه كذلك فهو ليس أخطر الأسلحة التي تهدد البشرية؛ امتلاك الطرفين لترسانة النووية والقذرة على إصابة الهدف هو ضمانة لعدم استعمالها.

سوف يتذكر العالم، لآلاف عام وأكثر، الهجوم الذي استهدفت فيه الولايات المتحدة مدينتي هيروشيما وناغازاكي بالقبائل النووية، في ذلك الوقت لم يتردد